بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة

الدبلوماسية علم وفن ، هى علم العلاقات الدولية وفن التعامل مع الغير · أقامت الدول عـلاقات فيما بينهـا منذ زمن طويل واسـتقرت أساليبها فى ذلك على أسس أصبحت مبادىء تسير عليها بهـدف توطيد أواصر صداقاتها ورعاية مصالحها · تبادل العلاقات الدبلوماسـية بين دولتين هو أول مظهر من مظاهر العلاقات الودية بينهما ، لذلك كان العمل الدبلوماسى يحمل عبء المحافظة على هذا الود وتنميته ·

نظمت كثير من المواثيق والمعاهـدات والاتفاقيات الدولية قواعـد المعاملات بين الدول كاملة السيادة وحرصت الدول المنضمة الى تلك المواثيق والمعاهـدات والاتفاقيات على احترام ما نصت عليه من التزامات خـدمة لمصالحها وللسلام فى العالم ، ومن هنا كانت الدبلوماسية هى علم الالمام بتلك المواثيق والمعاهـدات والاتفاقيات ، وهى فى نهـاية المطاف حقوق والتزامات كل دولة قبل الدولة الأخـرى وحقوق والتزامات كل دولة قبل المجتمع الدولى الكبير ·

ولكى يتحرك الممثل الدبلوماسى فى معاملاته الرسمية مع الغير على أسس سليمة استقر العرف الدولى واستقرت التقاليد الدولية على قواعد تكاد تكون ثابتة واجبة الاتباع ، ولهـذا كان عليه أيضا أن يلم بها الماما تاما · من تلك القواعد ما هو مدون ومعروف ، ولكن الجـزء الأكبر منه متروك لحسن تصرف الممثل الدبلوماسى وادراكه للظروف التى تحيط به . لذلك تتضح أهمية العنصر البشرى فى القيام بالعمل الدبلوماسى · وقيدت الصلاحية للخدمة فيه بقيود كثيرة قد لا تشترط فى ممارسة المهن الأخرى · من هذه القيود الصلاحية التى يمكن تسميتها بالصلاحية الانسانية أى أن يكون الممثل الدبلوماسى مقبولا فى المجتمع شكلا وموضـوعا ، شـكلا فى مظهره فلا يكون دميم الخلقـة منفرا ، وبأن يكون ذواقا لأسـاليب الحياة الاجتمـاعية التى تواضع البشر على أن تكون مدعـاة لادخـال الرضى والاطمئنان الى النفس ·

والصلاحية الموضوعية وتشمل الصلاحية الذهنية بمعنى أن لا يكون انعزاليا فى ميوله معقدا فى تفكيره جامدا فى تعـامله مع مختلف الآراء

والاتجاهات · كما تشمل الصلاحية الموضوعية الصلاحية الثقافية أى أن يكون بطبعه ميالا الى الاطلاع قارئا لكل جديد ملما بتطورات المشاكل الدولية سباقا الى المعرفة بأحداث هذا العالم أولا بأول ·

موضوع هذا الكتاب هو « الدبلوماسية فى التطبيق العملى » أى أنه يعالج الشق الثانى من تعريفنا للدبلوماسية وهى الدبلوماسية كفن ، أى فن التعامل مع الغير ، وفن التعامل مع الغير تحكمه مجموعة قواعد قد تكون مكتوبة ـ كما هو متبع مثلا فيما يختص بالأسبقية فى الحفلات العامة ـ أو قد يكون قد جرى العرف على اتباعها ـ مثل العادات الخاصة بالزيارات · مجموعة تلك القواعد والعادات أطلق عليها اسم « البروتوكول » · هناك مجموعة قواعد قد تكون أقرب الى الحس فيتصرف الشخص بشكل معين فى ظرف معين وهذه يكتسبها الشخص بالممارسة ويواجهها بحاسته السادسة ليكون تصرفه بشأنها مقبولا ، وهذه أطلق عليها اسم « الاتيكيت » · البروتوكول اذن هو الحدود التى يتحرك فيها الدبلوماسى طبقا للقواعد الموضوعة والمتعارف عليها فى معاملاته الرسمية ، والاتيكيت هو آداب السلوك فى كل ما يصدر عن الدبلوماسى من تصرف مع الغير ·

ان كانت قواعد البروتوكول فى الماضى أشد تزمتا فهى سائرة الآن نحو التبسيط ولكن قواعدها الاساسية باقية ، والاتيكيت وان كانت أساليبه سائرة أيضا نحو التبسيط الا أن أساليبه الاساسية باقية طالما كان الدافع اليها هو حسن المعاملة والذوق السليم والارتفاع بمستوى العلاقات الانسانية الحضارية الى مكانة رفيعة ·

هناك أيضا ما يسمى « بالمجاملة » وهذه ليست لها قواعد مكتوبة بل هى إحساس الشخص بأن ما يأتيه من تصرف سيدخل السرور والشعور بالرضى الى نفس الغير ، والشخص الناجح فى مجاملته هو الذى يتمكن من أن يصل الى قلب الآخرين ويحتل مكانة بين عواطفهم ، ولكن من الخطأ أن يسرف الشخص فى المجاملة فتنقلب الى عكس ما يهدف اليه ولذلك كان المثل القائل بأن خير الأمور الوسط هو القول الامثل فى ميدان المجاملة ، فلا مبالغة ولا تصنع قد تنقلب المجاملة بسببها الى سخرية · ولا تقصير قد يؤدى بالشخص الى عزلة وابتعاد · أما كيفية القيام بالمجاملة فانها تحتاج الى احساس رهيف وشعور متيقظ يودعه الله سبحانه وتعالى فى نفس من يريد ·

ان الفكر الخلاق للممثل الدبلوماسى هو الذى يتلمس طريقة فى حذق ومهارة لتنمية الصداقة واشاعة الثقة واستثمار قدراته الذهنية وخبراته وحسن تصرفه لخدمة بلده وسمعتها وتوسيع مجال مصالحها ودفع الضر عنها ·

بعد كل ما تقدم ، قد يتساءل أحد فيقول : « ماذا تريد ممن يمتهن الدبلوماسية ؟ هل تريده أن يكون سوبرمان ؟ واجابتى عليه بنعم ... لان حقيقة المهنة تتطلب من الممثل الدبلوماسى الناجح ان يكون فعلا « سوبرمان » . لقد هيأت له دولته من الامتيازات ما لم تهيئه لشاغلى أكبر مناصبها ، واحاطته الدولة التى تستضيفه برعاية وحصانات لا يتمتع بها غيره فى أية مهنة أخرى . وأغدقت عليه دولته من النفقات ما لا تنفقه على غيره فى أى موضع آخر ، ولذلك فهى تنتظر منه الكثير ، تنتظر منه ان يكون صورة مشرفة وانموذجا رفيعا لكل ما هو مثالى حتى ولو كانت هذه المثالية على حساب حريته فى كل ما يصدر عنه .

لقد قيل بأنه على وزير الخارجية أن يكون وزيرا للخارجية لمدة أربع وعشرين ساعة يوميا ، وهنا يمكن القول أيضا بأنه على الممثل الدبلوماسى أن يكون أنموذجا مشرفا لمدة أربع وعشرين ساعة يوميا .

أرجو أن أكون فيما جمعت من معلومات لهذا الكتاب والتعليق عليها قد اقتربت من هدفى وهو أن أقدم شيئا قد يكون نافعا ومفيدا لشباب الدبلوماسيين فى كافة الوطن العربى حتى لا يتخلفوا عن اقرانهم من البلاد العريقة فى ممارسة العمل الدبلوماسى ، وهذا الكتاب ـ على حد علمى ـ هو الأول من نوعه فى المكتبة العربية عن هذا المجال .

والله ولى التوفيق .

يناير (كانون ثان) سنة ١٩٨٦ م .

ربيع ثان سنة ١٤٠٦ هـ .

أحمد حلمى ابراهيم

سفير جمهورية مصر العربية

(سابقا)